## ﴿سورة المطففين﴾

**وفيها ثمانى مسائل :**

**المسألة الأولى: من هم المطففون الذين تحدثت عنهم السورة الكريمة ؟**

**الجواب:** إن أفضل تفسير للمطففين أن نفسره بما فسره القرآن الكريم ويدخل هذا تحت باب (تفسير القرآن بالقرآن) وهو أعلى درجات التفسير، والتطفيف هو التنقيص، وعندما ننظر فى الآيات بعدها نجدها تصف المطففين بصفات، فهم :

﴿**إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ(٢)**﴾ أى إذا أرادوا أخذ ما لهم أخذوه بزيادة، فهم فى حال الوزن لهم يزنون بالزيادة فيظلمون الناس، وإذا اشتروا من شخص طالبوه بأن يزيد فى الميزان ليأخذوا أكثر من حقهم .

﴿**وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ (٣)**﴾ أى إذا أرادوا أداء ما عليهم أدوه منقوصاً غير مستوفٍ، ففى حال الوزن للناس يخسرون الميزان ولا يرجحونه .

ولعل من أفضل ما ترشدنا إليه الآية هو مبدأ الحقوق والواجبات، فطلب الحق الذى لك وإهمال الواجب الذى عليك هو عين التطفيف، فالمطففون ليسوا فى مجال الوزن والتجارة فحسب، بل إن مفهوم الآيات أشمل وأوسع ليشمل كل معاملة فيها الحقوق والواجبات، فالزوج الذى يطلب حقوقه كاملة من زوجه ولا يؤدى ما عليه من واجبات تجاهها هو من المطففين، والوالد الذى يطالب أبناءه ببره وأداء حقه ثم هو يهمل واجبات أبوته تجاه أبنائه هو من المطففين، وكذا المدير فى إدارته الذى يسعى لنيل كافة حقوقه من عماله ثم يغمطهم حقوقهم ولا يوفيهم جزاءهم هو من المطففين، وهكذا يمكن أن تتسع دائرة المطففين ولا تقتصر على

من يبخس حق الناس فى ميزان التجارة ويستوفى الوزن لنفسه فحسب، بل تشمل الدائرة كل من له حق وعليه واجب، حيث يجب على الجميع كما يطالبون بحقوقهم كاملة أن يؤدوا واجباتهم غير منقوصة، ليأخذ كل ذى حق حقه، فيعم السلام وتنتشر المحبة والوئام وهذا مراد القرآن وغايته .

**المسألة الثانية: ما الدرس الإيمانى المستفاد من قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥)﴾؟**

**الجواب:** تُشعِرُك الآيتان أن هؤلاء المطففين ما فعلوا هذا الجرم ولا اجترؤا على أكل حقوق الناس إلا لأنهم نسوا يوم البعث والوقوف بين يدى الله ﷻ؛ ولذا كان من أعظم ما يمنع به الإنسان نفسه من الوقوع فى الزلل أن يجعل يوم البعث والوقوف بين يدى الله ﷻ ماثلاً نصب عينيه؛ فيكون ذلك له رادعاً عن الوقوع فى المعاصى، ومن ثم فقد حثنا رسول الله ﷺ على الإكثار من ذكر هاذم اللذات وهو الموت، فلا يُذكر الموت فى سعة إلا ضيقها ولا فى ضيق إلا وسعه ... والله المستعان .

**المسألة الثالثة: ما كتاب الفجار ؟ وما كتاب الأبرار ؟ وأين يكونان ؟**

**الجواب:** كتاب الفجار هو ذلك الكتاب الذى كُتِبت فيه أعمال الكافرين، وكتاب الأبرارهو الكتاب الذى كُتِبت فيه أعمال الأبرار المتقين، وقد وصفت الآيات كتاب الفجار بأنه فى سجيل، وورد فى تفسير سجيل أقوال عدة كلها تدور حول الخسارة والسفال والنار وقد رجح نفر من العلماء – منهم فضيلة شيخنا أبى عبد الله مصطفى العدوى – أن يكون المراد من سجيل سجن في الأرض السابعة السفلى، ودل على ذلك حديث النبي ﷺ فى مصنف ابن أبى شيبة في قصة نزع روح المؤمن وروح الكافر (أن روح الكافر تصعد فلا تفتح لها أبواب السماء ويقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى)[1]، فهو سجن في الأرض السابعة السفلى .

(١) المصنف فى الآحاديث والآثار، أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى شيبة، ٣ / ٥٤ ، ورقمه ١٢٠٥٩، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩ه .

أما كتاب الأبرار فهو فى عليين على عكس كتاب الفجار الموضوع فى سجين، وعليون من العلو والارتفاع وهو مستقر كتب الأبرار في السماء السابعة بنص حديث البراء السابق (اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة)[1] ثم هو مع رفعة مكانه وعلو شأنه يشهده ويراه ويطلع عليه المقربون وهم الملائكة المقربون من الله ﷻ، وفي قوله ﷻ: ﴿**يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ(٢١)**﴾ حث للعبد على أن يُحسن عمله لأن كتاب أعمال المؤمن فى عليين ينظر إليه الملائكة المقربون فى السماء، ولو علم العبد أن سريرته وعلانيته ستعرضان على إخوانه من أهل الدنيا لاجتهد فى إصلاحهما فما بالك إذا كانت أعمالك ستعرض على الملائكة المقربين؛ يطلعون على ما فيها من أفعال، ويقرأون ما فيها من أقوال، فالأحرى بالعبد أن يستحى من الله ﷻ حق الحياء، ثم يستحى من الملائكة المقربين التى لا تعصى الله تعالى ولا تفعل إلا ما يرضيه .

**المسألة الرابعة: ما الران الذى ورد فى قوله ﷻ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٤)﴾ ؟**

**الجواب:** الران هو أثر المعاصى فى القلب وهو سواد يعترى القلب ويغشاه فكلما فعل العبد معصية نكت فى قلبه نكتة سوداء فإذا تكرر الذنب بعد الذنب تكررت النكات السوداء فغطت القلب وصارت حاجزاً ومانعاً لنور الإيمان أن يصل إلى القلب، فإذا استمع إلى القرآن والموعظة لم يجد لذلك أثراً فى قلبه، لكن العبد إذا استغفر وتاب مُحيت أثر هذه المعاصى من قلبه، ولذا فإن للمعاصى أثر فى موت القلب، وللاستغفار أثر فى حياة القلوب. وقد أخبر النبي ﷺ: (إذا أذنب العبد ذنباً نكتت على قلبه نكتة سوداء فإن تاب وأقلع محيت، وإن عاد وأصر نكتت نكتة أخرى سوداء حتى يغطى القلب كله، ثم قال: هذا هو الران الذي ذكر الله في كتابه ﴿**كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٤)**﴾).

(١) هذا جزء من الحديث السابق .

**المسألة الخامسة: قال الله: ﴿يُسقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ (٢٧) عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ وصفت هذه الآيات شراب الأبرار بصفات.. فما هى ؟**

**الجواب:** الرحيق هو الخمر وهو شراب من بين أشربة الجنة الكثيرة، وقد وصفته الآيات بأنه مختوم قيل: إن كؤوس الخمر التى أُعِدت للأبرار مختوم بأختام من مسك فلا يفكها إلا من أراد الشرب منها، قال القرطبى: (وقيل: مختوم أي ختمت ومنعت عن أن يمسها ماس إلى أن يفك ختامها الأبرار)[1]، وهذا الختم تكريم لهذه الأوانى حتى لا يمسها غيرهم، وقد بلغ من ترفهم ونعيمهم أن جُعِلت هذه الأختام من مسك .

وقيل: بل المختوم هنا بمعنى المخلوط فهذا الرحيق مخلوط بالمسك، قال ابن كثير: (وقال ابن مسعود في قوله تعالى ﴿**خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ**﴾أي خلطه مسك، وقال ابن عباس: طيب اللّه لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك)[2]. وقيل: بل المعنى أن آخر الشراب وخاتمته رائحة المسك، على خلاف خمر الدنيا الخبيثة الطعم والرائحة، وقد صارت هذه الجملة مضرب المثل فى حُسن ختام الأمور، فيقال: "ختامه مسك" .

ثم إن هذا الرحيق ﴿**وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ**﴾ يقال: امتزج الشئ بغيره إذا اختلط به، والمعنى أن هذا الرحيق أى الخمر مخلوط بشئ من التسنيم، والتسنيم هو اسم عين راقية قد أعدها الله للمقربين؛ يشربون منها خالصة صافية، ويؤخذ منها فيخلط فى شراب غيرهم من أهل الجنة، ولذا قال الله عنها:﴿**عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ (٢٨)**﴾ أى أن عين التسنيم، (عين يُمزَج بها الرحيق لأصحاب اليمين، وأما المقرّبونفيشربونها صِرْفًا)[3]، ومعنى صِرفاً أى خالصة غير مختلطة بغيرها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٩ / ٢٦٥ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ٨ / ٣٥٣ .
(٣) تفسير الطبرى ، ٢٤ / ٣٠٠ .

﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ أي: وفى ذلك النعيم ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: فليرغب الراغبون بالاستباق إلى طاعة الله ﷻوثوابه العظيم .

**المسألة السادسة: ما الدرس المستفاد من قوله ﷻ :﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾؟**

**الجواب:** إن الآية الكريمة تفتح باب المنافسة فى ميدان الطاعة، والمنافسة فى الإقبال على الله ﷻ، فهذا هو باب التنافس الحقيقى الذى يجب أن يسعى إليه المؤمن، فينظر إلى من هو أعلى منه فى الدين، ويحرص على منافسته ومزاحمته على أبواب المساجد، وحلق العلم، وميادين الإنفاق، ومجالات الخير، على عكس ما عليه حال أغلب الناس اليوم؛ فمجال المقارنة والمنافسة عندهم فى أمور الدنيا، حتى صار الحال فى بعض دول الإسلام أن كتبوا هذه الآية الكريمة: ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ**﴾ على أبواب ميادين الرياضة وستادات كرة القدم، فجعلوا المنافسة فى هذا المجال، وحولوا اهتمام الشباب المسلم من التنافس فى ميادين العلم والجهاد إلى بذل الجهد وإفراغ الطاقة وفتح باب التعصب من أجل كرة من الجلد تتقاذفها أرجلهم وتلعب بعقولهم، وما هذا – والله – إلا من البعد عن تدبر كتاب ربنا وتنكب طريقه وإبعاد شباب الأمة عن المسارعة فى أبواب الخير وميادين الثواب .

**المسألة السابعة: وصفت الآيات إجرام المجرمين فى الدنيا بأربع صفات ... فما هى ؟**

**الجواب:** وصفت الآيات المجرمين فى الدنيا فى تعاملهم مع المؤمنين بأنهم: ﴿**كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ (٢٩)**﴾ أى كانوا فى الدنيا يأخذون من المؤمنين مادة للتندر والسخرية والضحك والاستهزاء .

﴿**وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ (٣٠)**﴾ أى: يغمز بعضهم لبعض بإشارات أيديهم وحركات وجوههم؛كفعل أهل البطالة وسوء الأدب؛ فى محاولة منهم لاستجداء الضحك من التافهين وإحراج المؤمنين .

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ (٣١)﴾ أى: إذا عاد هؤلاء المجرمين إلى بيوتهم وأصحابهم رجعوا وهم فى حالة من الابتهاج والفرح بما فعلوه مع المؤمنين، وهو ما يوضح موت الضمير عندهم، وخبث أنفسهم، وانعدام مبدأ محاسبة النفس ومراجعة الأخلاق .

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢)﴾ ومن العجب أن يتكلم هؤلاء الضالون المجرمون عن الهداية والضلال وينسبون أهل الإيمان إلى الضلال ويبرئون أنفسهم منه، وتلك عادة المجرمين منذ بدء الدعوة إلى الله وإرسال الرسل من لدن نوح – عليه السلام – إلى يومنا هذا منذ أن سخر مشركو قوم نوح منه ومن مؤمنى قومه، وقالوا ما حكاه القرآن الكريم عنهم:﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾[1] وتستمر حملة السخرية من المؤمنين، والحط من أقدارهم، والاستهزاء بتمسكهم بدينهم حتى يومنا هذا، والناظر إلى أصحاب الأفكار الغربية من العلمانيين ومن سار على دربهم من بعض الإعلاميين وممن يسمون أنفسهم أهل النخبة والفكر فى كثير من مجتمعاتنا العربية لا يجد لهم هماً إلا السخرية من تمسك المسلم بدينه وسنة نبيه ﷺ فيسخرون ممن أعفى لحيته، أو قصَّر ثوبه، أو حمل السواك فى جيبه، أو لبست النقاب واتشحت بالسواد، ويعتبرون هذا من باب التخلف والرجعية، فى الوقت الذى تجدهم يصفقون لكل وارد من بلاد الغرب مهما خالف قواعد الدين وأصول الأخلاق ... والله المستعان .

فلتحذر – أخى الحبيب – من أن تقع فى هذا الذنب العظيم ولتحرص على إحياء سنة نبيك ﷺ مهما قابلتك عواصف السخرية وصيحات الاستنكار، ولتكن من الغرباء المعتصمين بالكتاب والسنة فى متاهات الفتن حتى يجمعنا ربنا مع نبينا ﷺ على الحوض .

---

(١) سورة هود / من الآية ٢٧ .

**المسألة الثامنة: كيف كانت عقوبة الكافرين فى الآخرة ؟**

**الجواب:** لما كان الجزاء من جنس العمل، فقد عاقب الله المجرمين الساخرين والمستهزئين من المؤمنين فى الدنيا بأن أدخلهم النار، وأدخل المؤمنين الجنة، جالسين على الآرائك، متكئين فيها، ينظرون إلى الكفار وهم فى النار يُعذبون، فيضحكون منهم، ويتذكرون نعمة الله عليهم وانتقامه لهم .

قال الله ﷻ: ﴿**هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (٣٦)**﴾، قال السعدى – رحمه الله – : (أي: هل جوزوا من جنس عملهم ؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال، نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم)[1] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ١/٩١٦– ٩١٧ .